الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

المصاحبة اللّغويّة في سورة "النّساء"

مقاربة لسّانية

مذكرة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب (ة):

آسيا سلامي
أنيسة جغلاف

إشراف:

موساوي فريدة

السنة الجامعية: 2013-2014

كلمة شكر

نتقدم بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان

إلى أستاذتنا الفاضلة "موساوي فريدة"

التي تفضلت بالإشراف على هذه المذكرة

ولما قدمته لنا من تشجيع ودعم وتوجيهات قيمة وسديدة

وكان لها الأثر الكبير في إتمام هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ "عيسى شاغة" والأستاذ "عزي"

اللذان قاما بتقديم يد المساعدة ولو بجزء بسيط.

كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل للأخ "محمد".

إهداء

بعون الله والحمد لله أهدي ثمرة جهدي وإكمال مشواري الدراسي

إلى من وصانا بهما عز وجل في علاه إلى أغلى ما في الوجود

إلى والداي العزيزان أنس حياتي وجنتي بعد مماتي

إلى أمي وأبي أدعو الله أن يحفظهما ويطيل في عمرهما.

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء :كمال، يزيد، عادل، مريم، فوزية، طارق وشيماء، أخص بالذكر أخي الأكبر كمال، وأتقدم إليه بالشكر الجزيل، كان لي عونا في إنجاز مذكرتي.

كما لا أنسى إهدائي إلى سندي ورفيق دربي:قاسم إلياس وإلى كل عائلته الكريمة خاصة الكتكوتة أميرة.

إلى رفيقاتي وزميلاتي في مشواري الدراسي إلى أمال، أنيسة، صونيا، نوارة أشكركم جميعا.

إلى أخوالي وأعمامي بالأخص خالتي الغالية حمامة إلى دنيا.

والصلاة والسلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

آسيا

إهداء

إلى من رآني قلبها قبل عينيها واحتضنتني بيديها وكانت الجنة تحت قدميها ولامست جبهتي شفتيها وتمنحني السعادة ملأ ما فيها وما يكون الشكر إلا إليها **أمي الغالية**.

إلى من كان النبراس وعلمني التفاني والإخلاص وسقى في جميع الإحساس يا من افتخرت به أمام الناس فجعلته تاجا على الرأس **أبي العزيز**.

إلى من ربطني بهم رابط الأخوة الجسم رشيد، عمر، حمزة، مصطفى، سعيدة، فايزة، حميذة وزوجات إخوتي دليلة، زهرة، مسعودة، إلى البراعم البريئة أيمن، آدم، عزيز، عبد الودود، عبد الصمد، أميمة، أنفال، رتاج.

إلى بركة العائلة جدتي حدة.

إليكن يا من عشت معهن الصداقة وشققت سبيل للعلم شقا وكنتن عوني وزادي في مشواري خولة، سعاد، هجيرة، إيمان، زوليخة، مريم، وسام، عائشة، حياة، حبيبة، حنان.

إلى من تجمعني بهم أصدق المشاعر وأحلى الذكريات: حنان، ريمة، نوال، سعيدة.

إلى الصديقة آسيا التي شاركتني وتحملتني طوال هذا العمل.

إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي أهدي ثمرة جهدي.

أنيسة

مقدمـة

المقدمة:

إن اللغة أداة اتصال بين البشر تحقق عرض التواصل والتبليغ، لذالك كانت محل دراسة وعناية وتحليل، من أجل اكتشاف أسرارها، فحضت بنصيب وافر من الاهتمام من قبل المتخصصين في هذا المجال منذ القدم.

وقد عانت الجملة في بداية هذا الدرس اللساني ومحل اهتمامه، وظلت على هذا الحال على مر الزمن باعتبارها موضوعا للدرس اللغوي، فالجملة بنية قارة في الكلام، وبالرغم من كل هذا فإن الجملة لم تتمكن من تفسير الكثير من الظواهر التركيبية إذ أنها بحاجة إلى عناصر من خارجها لإيضاحها، ويصبح بذالك النص هو الوحدة الأساسية للتحليل .

ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد وهو ما يعرف بلسانيات النص الذي يعد فرعا من فروع اللسانيات، يعني بدراسة النصوص وتحليلها، كما تميز هذا العلم بحداثته وتنوع موضوعاته.

إن الاتساق في الاصطلاح صفة يتسم بها كل خطاب متجانس ومنظم الوحدات سواء كانت هذه الوحدات مفردات جمل وذالك من خلال أدواته والدور الذي تؤديه في تلاحم أجزاء النص وتماسكه، ومن أهم أدواته نذكر :

المصاحبة اللغوية التي تطرقنا إليها في بحثنا هذا لنظهر جمال اللغة ودقتها وتأليف ألفاظها من خلال التأصيل النظري لهذه الظاهرة ثم استخراج عناصرها من الخطاب القرآني.

وقد دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها :

1- الرغبة الملحة في التعرف أكثر على هذا العلم الجديد.

2- أن فكرة المصاحية اللغوية لها دور في تحديد دلالة الكثير من الألفاظ والتراكيب القرآنية التي لا يمكن أن تتوصل إلى فهم دلالتها في النص القرآني منعزلة عن فكرة المصاحبة.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة وفهرس أما المقدمة تحدثنا فيها عن أسباب اختيارنا للموضوع وخطة البحث والمنهج المعتمد عليه وأهم الصعوبات التي واجهتنا.

فالفصل الأول: النشأة والتطور، تحديد المفاهيم الأساسية المعتمدة في البحث.

أما الفصل الثاني: تناولنا فيه الجانب التطبيقي المتمثل في إظهار عناصر المصاحبة اللغوية من خلال سورة النساء.

أما عن أهم الصعوبات التي واجهتنا: قلت المصادر والمراجع التي تحصلنا عليها في هذا الموضوع، وعدم تمكننا نحن كطلبة في هذا المجال وعدم الإمام بكل جوانبه.

الفصل الأوّل:

- الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النّص
- تعريف المصاحبة اللّغوية
- عناصر المصاحبة اللّغوية

I- الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص:

يعد النص حدثا يوجهه المرسل إلى المستقبل لإنشاء علاقات متنوعة وتوصيل مضامين يعاينها المتتبع، وهو الوحدة الكبرى الشاملة يتكون من أجزاء مختلفة، يقع على المستوى الأفقي من الناحية النحوية، وعلى المستوى العمودي من الناحية الدلالية.

ومعنى ذلك أن النص وحدة كبرى لا يتضمنها وحدة أكبر منها، والمقصود بالمستوى الأول (الأفقي) أن النص يتكون من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، أما الثاني فيتكون من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية.[1]

ويذكر صبحي إبراهيم الفقهي:«أن الاهتمام بنحو الجملة لم يكن من قبل النحويين العرب فقط بل كان اهتمام المدارس النحوية التوليدية، كما أنه من صور التحليل النحوي يقف في معالجته عند حدود الجمل » .[2]

وقد اشترك النحاة العرب والدارسون الغربيون باعتبار الجملة محور الدرس اللغوي والوحدة اللغوية الكبرى الأساسية المستقلة بذاتها و المعنية عن غيرها، كما أنها الممثل الوحيد للغة وفي هذا يقول محمد عفيفي:« الجملة هي الوحدة الكبرى التي ينبغي أن يقّعد لها دون أن يتجاوزها إلاّ في قليل ذلك ».[3]

لقد ظهرت نداءات من طرف اللغويين العرب للانتقال من دراسة النص الأدبي وذلك لأن نحو الجملة اتسم بالقصور وبتضييق مساحة البحث فيه إلى النص بصفة عامة، وفي هذا الصدد يقول عزة:« يتجاوز حدود الجملة إلى التراكيب والوحدات الكبرى من الجمل ».[4]

---

[1] ينظر نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**، ط1، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، 1428هـ، 2009م، ص42-43.

[2] صبحي إبراهيم فقهي، **علم اللغة : النص بين النظرية والتطبيق**، ج1، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000م، ص51.

[3] محمد عفيفي، **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ط1، مكتبة زهراء الشرق، 2001م، ص91.

[4] علي عزة، **الإتجاهات الحديثة في الأساليب وتحليل الحطاب**، ط1، شركة أبو هلال للنشر، 1996م، ص47.

وهو ما ذهب إليه "هاريس"Haris " في قوله:« إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك » [1]، من خلال هذا القول يتبين لنا أن الدراسات اللغوية لابد أن تتجاوز العلاقات بين أجزائها إلى مجموع تتابعات كبرى لا تتصل بكليات النص وبنائه العام عن طريق البحث والظواهر التي تتعلق ببنية النص الكلية.

وهذا ما برهن عليه "فانديك" بقوله:« عدم كفاية نحو الجملة لوصف الظواهر تتجاوز حدود الجملة»[2]، كما يعد "هاريس" أول عالم لساني سعى للانتقال من مستوى تحليل الجملة إلى مستوى أكبر من ذلك، ويرى العالم الروسي" بسكوفسكي" « أن نحو النص يفهم على أنه نوع القواعد لعدة جمل كما كانت تتجاوز حد الجملة أمر أساسي لإدراك النصية فقد وصفت النصوص بأنها كليات متجاوزة للجملة» [3].

ومن الواضح أن نحو النص ارتبط ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب وهذا ما أدى إلى تطوره على نحو الجملة وهو يشمل سياقه، ظروفه، فظاءاته ومعانيه المتعالقة إلى النص، ومنه يمكن القول بأن التداخل بين نحو الجملة ونحو النص ينتج التأكد أن نحو النص لا يرفض نحو الجملة رفضا مطلقا؛ وإنما يقف به عند حد ما تاركا له العلاقات داخل الجملة الواحدة ومتجاوزا ذلك إلى مسرح النص على اتساعه وتشعبه، ومن هنا بدأت ملامح لسانيات النص والتي اليوم تعرف بهذا الاسم التي تبلورت منذ الستينيات، وازدادت وضوحا خلال السبعينيات من القرن الماضي، وهذا ما أكده "سعد حسن بحري" في تعريفه لسانيات النص بقوله:« نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل يلجأ في تفسيراتها إلى قواعد منطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها». [4]

---

[1] فولفاتج هاينه مان ديترفيهر، **مدخل إلى علم لغة النص**، (ت.د) سعيد حسن بحري ،ط1 ،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1،2004، ص47.

[2] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص25.

[3] فولفاج هاينة مان بيترفيهر ،**مدخل الي علم لغة النص** ، ص19.

(4) سعد حسن بحري، **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، ج1، مكتبة لبنان الناشرون، بيروت، 1997، ص134، 134.

وفي الأخير إن التصور الكلي للنص لا تحدده الخواص المنفصلة للأبنية الصغرى (الجمل) إلا من خلال تجاوزها في التحليل لأبنية النص الداخلية والخارجية من حيث مستوياتها المختلفة و شرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل؛ فمن الأهداف التي سعت لسانيات النص إلى تحقيقها ليس وصف النص وتحليله وإنما هدفت إلى أن تكون أكثر عمومية وشمولية، من ناحية تشير إلى جمع النصوص في سياقاتها المختلفة،ومن ناحية أخرى يتضمن إجراءات النظرية والوصفية التطبيقية ذات الطابع العلمي المحدد، حسن بحري، أحمد عفيفي وغيرهم الذين يرون ضرورة تجاوز الجملة لى النص دون إهمال الأولى التي تعد النواة الحقيقية للنص.

II- تعريف المصاحبة:

1- لغة:

يعود مصطلح المصاحبة إلى المادة (ص، ح، ب) التي تدل على معنى التلازم والاقتران والمرافقة بين الشيئين، وقد أشار إلى هذا أصحاب المعاجم العربية كما يتضح الآن، فعن أصل هذه المادة يقول إبن فارس: « الصاد، الحاء والباء، أصل واحد يدل على مقارنة الشيء ومقاربته من ذالك الصاحب.....و كل شيء لاءم شيئا»[1]. وفي أساس البلاغة يقال أديم مصحوب أي صاحبه شعره ولم يفارقه وعود المصاحب: ترك لحاءه ولم يقشر[2].

أما في لسان العرب كل ما لزم الشيء فقد صاحبه ويقول الشاعر في هذا الشأن:

إن لك الفضل على صحبتي .....والمسك قد يصطحب الرامكا

و أصحبت الشيء جعلت له صاحبا و المصاحب، والمناقد من الأصحاب، وأصحب الماء علاه الطحلب، وقرب مصحب بقي فيها من صوفها [3].

وفي "الوسيط " "صاحبه مصاحبة وصحابا أي رافقه و اصطحب الشيء لازمه"[3]، أما في تهذيب اللغة "المصاحب جذرها صحب في المعنى اللغوي، والمصاحبة مصدر قولك صاحبك الله، وأحسن صحابتك يقال للرجل عند التوديع"[1].

---

[1] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422، 2001، ص563.

[2] الزمخشري، **أساس البلاغة**، دار الفكر، بيروت، 1420، 2000، ص341.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "صحب"،ج1، دار الحديث، القاهرة، 1423، 2003، 278.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، ص507.

وفي كتاب العين يقال صاحبك الله أي حفظك، ويقال: «مصحوب والصاحب يكون في حال نعت ولكنه عم في الكلام فجرى مجرى الاسم؛ كقولك صاحب مال أي ذي مال، ويقال جلد ذي مصحب إذا كان عليه شعر وصوف»[2].

أ- المصاحبة اللغوية عند القدماء اللغويين العرب:

في البداية أود أن أقول أن كثيرا من المظاهر اللغوية أو النظريات الحديثة التي وفدت إلينا من الغرب، والتي طار بها فرحا هؤلاء الذين يلهثون وراء كل ما هو غلبي زاعمين أن تراثنا العربي الأصيل تراث يتسم بالجمود ولا يتماشى مع ما استحدث من النظريات الحديثة أو الآراء العصرية، وإن المسلمين الأوائل الذين أوصلوا العلوم و قعدوا القواعد، اكتظت مؤلفاتهم بالآراء و الأفكار التي تسبق هذه النظريات العربية الحديثة؛ بل إن كثيرا من الأفكار الغربية الوافدة إلينا هي في الأصل بضاعتنا ردت إلينا.

وظاهرة المصاحبة من الظواهر التي وعاها علماء المسلمين الأوائل وتنبه إليها العلماء اللغويون والأدباء، وتشهد مصنفاتهم فيما يسمى بفقه اللغة أو بمعاجم المعاني أو بالألفاظ الكتابية بعمق إدراكهم لها واستقصائهم لأمثلتها؛ وإن لم يموها بهذا الاسم أو لم يخصوها باسم.

ويؤكد هذه الحقيقة الدكتور "عبد الفتاح البركاوي" بقوله:«أما اللغويون العرب فقد ضربوا بسهم وافر في هذا المجال وكشفوا عن المجالات المختلفة التي تستعمل فيها ألفاظ بأعيانها بحيث لو استعمل لفظ في غير ما يتلاءم معه كان ذلك خطأ»[3].

ومن العلماء الذين أدركوا ظاهرة المصاحبة - في تراثنا الأصيل- "الجاحظ" فقد تنبه إلى أن بعض الألفاظ تجيء في صحبة ألفاظ معينة ولا تجيء في صحبة ألفاظ أخرى قد تكون بمعناه[4]؛ فقد ذكر "الجاحظ" بعض النماذج في القرآن الكريم فيقول :

---

[1] ابن منصور محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**،(ت، د)رياض زكي حكم، ج3، دار المعرفة، لبنان، ص 1977، 1978.

[2] محمد حسن عبد العزيز، **المصاحبة في التغير الدلالي**، ص60.

[3] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**، دار المنار، القاهرة، 1411، 1991، ص72.

[4] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ،دلالة السياق بين التراث و علم اللغة الحديث، ص73.

في القرآن الكريم معان لا تكاد تقترن مثل الصلاة و الزكاة، الجنة والنار، المهاجرين والأنصار....وإذا كان "الجاحظ" قد أدرك بحسه المرهف هذه الظاهرة فإن "سبويه" قد أصل لها وبين دور المصاحبة أو التوارد في الكشف عن استقامة الجملة دلاليا عندما جعل إيراد كلمة ما مع كلمة لا تتناسب معها دلاليا مما يتسم الكلام بالخطأ أو الكذب[1].

وإذا انتقلنا إلى غيره من علماء المسلمين فنجد أن هذه الظاهرة قد اتضحت عندهم وجعلوها من مناهجهم اللغوية التي ساروا عليها فكانت منهجا علميا حرا يتحدى به في هذه العصور.

ومن هؤلاء العلماء الذين اتضحت هذه الفكرة في أذهانهم وظهرت في مؤلفاتهم" أبو هلال العسكري"، والمتصفح لكتابه "الفروق اللغوية" الذي نصبه لإثبات الفروق اللغوية بين المترادفات يرى في ثنايا الكتاب بوضوح، ونستشف أيضا من خلال المنهج الذي وضعه "أبو هلال العسكري" أنه قد أشار إلى فكرة وهي التفريق بين العلم والمعرفة فيقول:« هو أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم » [2]، والاستعمال الذي أشار إليه "أبو هلال العسكري" يقتضي مصاحبة ألفاظ معينة في كل سياق فيمكن أن نقول (زيد عارف) ولا يصح أن نصف الله عز وجل بأنه عارف كما قال "الزهري".

ب- عند النحويين:

وقد أدرك النحويون العرب ظاهرة المصاحبة وتناولوها من منظور نحوي حيث أثبتوا وجود تلازم بين بعض الأدوات في الجملة العربية، وكذلك بين أركانها يقول ابن هشام الأنصاري عن تلازم بين الفعل والفاعل« الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة؛ فحقهما أن يتصلا...»[3]، فهذا النص الذي ذكره ابن هشام يؤكد التصاحب والاتصال بين الفعل والفاعل ويقول ابن عقيل عن تلازم الفاء مع أما« أما حرف تفصيل، وهي قائمة

---

[1] أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، **كتاب سبويه تحقيق عبد السلام هارون**، ط1، دار الجبل، بيروت، ج1، ص25.

[2] أبي هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق محمد إبراهيم سلم، دار العلم والثقافة، 1418، 1997، ص25.

[3] إبن هشام الأنصاري، **قطر الندى وبل الصدى**، طبعه وحققه يوسف البقاعي، ط3، دار الفكر، لبنان، 1414، 1994، ص236.

مقام أداة الشرط وفعل الشرط ....والمذكور بعدها جواب الشرط، فلذلك لزمته الفاء نحو أما زيد فمنطلق» [1].

ثم ذكر ما قاله "ابن مالك" في ألفيته:

وفا لتلو تلوها وجوبا ألفا

فهذه الملاحظات النحوية تشير إلى أن علماء النحو قد تناولوا ظاهرة المصاحبة مما يؤكد اتصالها بالمستوى التركيبي أو النحوي.

إذا كان البحث في السطور السابقة قد بين كيف أن اللغويين العرب أدركوا ظاهرة المصاحبة وكيف تناولوها على المستوى الدلالي والمستوى التركيبي؛ فإن الذوق اللغوي العام عند العرب قد أدرك بحس مرهف هذه الظاهرة، وقد أرجع الدكتور"عبد الفتاح البركاوي" إلى الذوق العربي الفضل في الكشف عن هذا الأساس الهام من أسس تحليل وفهم النص العربي.

[1] بهاء الدين العقيلي، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية، 1412، 1992، ص293.

2- اصطلاحا:

المصاحبة اللغوية عند المحدثين:

يلاحظ أن التعريفات التي قدمها اللغويون المحدثون لهذه الظاهرة مرتبطة بالمعنى المعجمي فقد عرفت بأنها" ظاهرة لغوية لا تخفى على المتحدث باللغة المعنية؛ وهي بشكل عام مجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى[1].

وبعبارة أخرى هي« الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة دون أخرى» [2] ، ومن التعريفات الجديدة للمصاحبة - أيضا- "ما ذكره محمد حلمي هلال"« بأنها عبارة عن تجمعات معجمية لكلمتين أو أكثر جرت العادة على تلازمه وتكرر حدوثهما وترابطهما دلاليا»[3] .

والمصاحبة عند اللغويين العرب المحدثين في البداية أقول أن مصطلح المصاحبة عن الدارسين العرب المحدثين ما هو إلا ترجمة لمصطلح "فيرث" Collocation "انجليزي" وقد اختلفوا في ترجمة هذا المصطلح فتعددت مسمياته عنده وإن كان المضمون واحد في الغالب فأطلق عليه عدة مصطلحات وهي:

- ✓ المصاحبة
- ✓ الوصف والنظم
- ✓ التلازم
- ✓ التضام
- ✓ الاقتران اللفظي
- ✓ قيود التوارد

لقد كان لمحمد أبو الفرج السبق في استعمال مصطلح المصاحبة في العربية كما يقول عنه الدكتور" محمد حسن عبد العزيز"« كان الدكتور محمد أبو الفرج أول من

---

[1] محمد حسن عبد العزيز، **المصاحبة في التعبير اللغوي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1410، 1990، ص11.

[2] أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ط4، عالم الكتب، مصر،1993 ، ص70.

[3] محمد محمد حلمي هلال، في طيور التنفيذ معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ج20، 2000، ص244.

قدم مفهوم "فيرث"في المصاحبة إلى القارئ العربي بل إنه صاحب ذلك المصطلح العربي "المصاحبة" الذي وضعه مرادفا لمصطلح "فيرث "Collocation"» [1].

وكذلك من المحدثين الذين تناولوا هذه الظاهرة "محمد فهمي حجازي" فقد ترجم مصطلح "Collocation" تحت اسم التضاد ويعني عنده ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية ويكون معناها مفهوم من الجزئيات المكونة لها[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى يختلف الإتباع عن المصاحبة في كون الأول يأتي في بعض الحالات لا يفيد المعنى؛ أما المصاحبة فنجد أن الكلمتين المتصاحبتين يفيد المعنى وله أثر الدلالة المفهومة لدى السامع ومع هذا نجد أن الإتباع في هذه الحالة يشترك مع المصاحبة في مسألة "التلازم بين الكلمتين"؛ فإن المتابع في هذه الحالة لا يمكن أن ينفرد وينعزل عن الكلمات الأولى لارتباطه الوثيق بها فلا يستعمل مع كلمة أخرى لأنه يطلب الكلمة الأولى؛ وبهذا ينطبق على الإتباع ما ينطبق المصاحبة؛ تصنيفا علميا لشدة التداخل بين هذه الأصناف التي يمكن رصدها على النحو التالي:

- ✓ علاقة تضاد بين الأسماء، الأفعال، الجمل.
- ✓ علاقة تلازم.
- ✓ علاقة الصنف العام.
- ✓ علاقة الجزء بالكل.
- ✓ علاقة الجزء بالجزء.
- ✓ علاقة التدرج التسلسلي بين زوجين من الألفاظ.

III- عناصر المصاحبة اللغوية:

1) علاقة تضاد:

الضد هو«أن يشرح معنى كلمة بأن تذكر أحرى تغايره في المعنى فيصبح المعنى بالضد» [3]، وتستعمل معاجمنا في شرح ألفاظ المعاني غالبا كلمات مثل

---

[1] محمد حسن عبد العزيز، **المصاحبة في التعبير اللغوي**، ص60.

[2] محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**، دار قباء، 1991، ص157.

[3] محمد أحمد أبو الفرج، **المعاجم اللغوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، دار النهضة العربية، 1966، ص103.

الضد، الخلاف، النقيض، ولو نظرنا في معجم لسان العرب لوجدنا ذلك بوضوح؛ فهو استعمل كلمة "ضد". العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور.[1]

ويقصد اللغويون بالأضداد أو غير ما يقصد به المناطق بالتضاد وإن كان ثمة اتصال وثيق بين المبحثين؛ وذلك أن مبحث التضاد من جهة نظر اللغويين يتصرف إلى دراسة العلاقة بين المعجمين اللذين يدلان على شيئين مختلفين لا يجدان معا في موضوع واحد، أما مبحث الأضداد فهو مبحث خاص بالكلمات المتفقة في الألفاظ المختلفة في المعاني، ويقول "محمد محمد يوسف":« على أن اللغويين الأوائل لاحظوا في مبحث الأضداد أنهم يعدون من الأضداد كل لفظ مشترك دال على معان متضادة؛ سواء أدخل على ما تصرف منه تغير في مبناه» [2] .

رغم وجود تسميات عديدة لهذا النوع فإن المصطلح الذي يزيد التنبيه عليه هو التضاد من أجل توحيد المصطلح وتسهيل الاتصال بين الكاتب والسامع، ويقول "محمد إسماعيل "أن هناك تضارب في تحديد مفهوم الأضداد بين العلماء.

- الموقف الأول ذهب إلى أن الأضداد ليس إلا نوع من المشترك اللفظي.
- الموقف الثاني أنكر هذه الأفكار الظاهرة ومن العلماء العرب الذين أنكروا هذا ابن سيدة، الجوالقي....
- الموقف الثالث ينظر أنصار هذا الموقف إلى أن الأضداد ظاهرة لغوية مستقلة وليست من المشترك اللفظي.

2) علاقة تلازم:

يقترب التلازم من التبعية وهو تواتر لبعض الكلمات التي لا يمكن أن تتغير ولا تتبدل؛ بحيث لا علاقة بذلك بقواعد اللغة العربية وإنما يعود ذلك الاتفاق المعين والكشف عن صلة الواحدة منها بالأخرى وبذلك صلتها بالمصالح العامة وفي هذا يقول محمود فهمي حجازي "تختلف الألفاظ في داخل المجموعة الواحدة اختلافا بعيدا

---

[1] رياض زكي قاسم، **المعجم العربي: بحوث في الماد والمنهج والتطبيق**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1407، 1987، ص247.

[2] محمد محمد يوسف علي، **المعنى و ضلال المعنى الدلالة في العربية**، ط1، دار المدار الإسلامية، 2007، ص394.

فالكلمة ذات دلالة عامة تشمل تحتها كلمات كثيرة أخرى"[1] فكل الكلمات التي تنتمي إلى حقل واحد تكون مختلفة اختلافا جذريا.

4- **علاقة الجزء بالجزء:** وهي علاقة جزء بالأجزاء الأخرى.

5- **علاقة الجزء بالكل:** أي ثمة عناصر مركزية في الجملة تتبعها عناصر أخرى بحيث العناصر الأولى عناصر عليا في جهة التدرج والعناصر الأخرى عناصر دنيا.

6- **علاقة التدرج التسلسلي بين زوجين من الألفاظ.**

[1]- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص151.

الفصل الثانـي:

- التعريف بسورة النساء وتلخيص مضمونها
- التطبيق على سورة النساء

I- التعريف بالسورة وتلخيص مضمونها

1- التعريف بالسورة:

مدنية كلها وهي مائة وخمس وسبعون آية قال القرطبي: إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح، في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (58)، وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت: «ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم» يعني قد بني بها، وللإختلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بني بعائشة بالمدينة ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لاشك فيها[1].

وقد ورد في فضل هذه السورة أخبار كثيرة في محلها[2].

قال العوفي عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة وكذا روى ابن مردودية عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت، وروى من طريق عبد الله بن لهيعة عن أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت سورة النساء قال عبد الله بن محمد شاكر حدثنا محمد بشر العبدي حدثنا مسعر بن كدام عن معني بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال "إن سورة النساء لخمس آيات ما يسرني بها أن لي الدنيا وما فيها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾(40)، و﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾(31) ،و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(48)، و﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾(64)[3].

نعم قال هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمان سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن بن مسعود قال: خمس آيات من النساء لهن أحب إلي من الدنيا جميعها﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾(31)، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾(40)، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ

---

[1] الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع القرآن، ج5، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988، ص 3.

[2] الإمام محمد الألباري أبي الطيب القنوجي البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، المطبعة العصرية،ج3، بيروت، لبنان، 1996، ص 7.

[3] الإمام حافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية،ج1،ط5، بيروت، لبنان، 1995، ص 424.

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(48)، وقوله ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(110).

رواه بن جرير ثم روى من طريق صالح المروي عن قتادة عن ابن عباس قال: ثماني آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾(27)، والثالثة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾(28).

تم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية. وروى الحاكم من طريق أبي نعيم عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول: «سلوني عن سورة النساء فإني قرأت القرآن وأنا صغير»[1].

تعتبر سورة النساء أطول سورة بعد البقرة وإنك عند قراءتها بتدبر وتفهم وإمعان، تجد أنها قد اشتملت على مقاصد عالية[2].

2- ملخص مضمون السورة:

إن الله عز وجل كأنه يقول في هذه السورة الكريمة يا أيها الناس أنتم من أب وأم، ألا ترون أنكم كرجل واحد وكيف لا يكون ذلك وأنتم جميعا تعينون بعضكم بعضا، وتتبادلوا جميع المنافع، كذلك يبيّن الله من خلال السورة أنه يجب على الناس أن يتقونه ولا يعصونه، فلماذا لا تتواصلون وتتراحمون ولا يعطف بعضكم على بعض؟ كذلك يحذرهم الله عز وجل أن لا تأكلوا أموال اليتامى وإياكم والإسراف في الزواج وكثرة النساء، واقتسموا التركات بالحق الذي بينته للذكر مثل حظ الأنثيين.

ويواصل الله عز وجل حث المؤمنين على إتباع الطريق السوي في معنى قوله عاشروا النساء بالمعروف فلقد حرمت عليكم نساء أبنائكم والكثير من القريبات كالأم والأخت...الخ، وجميع المتزوجات، كل هؤلاء حرام عليكم، ولا تتزوجوا بالإماء اللاتي ملكن غيركم واحذروا الشهوات والميل في الأهواء كما احذروا أيضا الأعراض، ويبيّن الله رحمته في معنى قوله: قد أعفو عن صغائر إذا اجتنبتم الكبائر وإذا أعطيتم المرأة نصف ما للرجل فليس لها اعتراض، وإذا اخذ الرجل الضعف وإنما ذلك لكونه قوامًا

---

[1] الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص 224.

[2] محمد سيد طنطاوي، تفسير الوسط للقرآن الكريم، ص 9.

عليها فله فضل ذلك، ويحث الله تعالى أن أعبدوه وبروا بالوالدين وصِلوا الأرحام، وكذلك يدعوا إلى عبادته بإقامة الصلاة بقلوب حاضرة لا مجرد أقوال وأفعال ولتكن على نظافة أفئدتكم، ويحث المؤمنين ألّا يكونوا ذوي نفاق وأنقذوا المستضعفين من أهل مكة الذين ظلمهم الكفار، وأخيرًا يذكر الله عز وجل القضاة بعدم التهاون في القضايا وأن تكون أعمالهم بالبر والحق والصدقة وعدم ظلم النساء[1].

II- التطبيق على سورة النساء:

بعد التعريف بسورة النساء باعتبارها المدونة التي سنطبق عليها، نشرع في الجانب التطبيقي، وقد اتبعنا في ذلك طريقة تكمن في: استخراج الآية ثم استخراج العلاقة من تلك الآيات ثم شرحها.

1- علاقة التضاد:

قلنا سابقا بأن علاقة تضاد قد تكون بين الأفعال، الأسماء، وحتى بين الجمل.

التضاد بين الأفعال: ما يلاحظ في هذه السورة قلة الأفعال وكثرة الأسماء وتكرارها فاقتصرنا على هذه النماذج نبيّن عناصر المصاحبة اللغوية قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.(36)

(أعبدوا # تشركوا)

يأمر الله عباده بعبادته وحده لا شريك له وهو الدخول تحت رق عبوديته والانقياد لأوامره ونواهيه، محبةً وذلولا وإخلاصا له في جميع العبادات الظاهرة والباطنة، وينهى عن الشرك به شيئا لا شرك أصغر ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً، بل يجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الملك والكمال المطلق من جميع الوجوه وله التدبير والكمال الذي لا يشركُه ولا يعينه عليه أحد، ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بنواهيه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب.

---

[1] الشيخ الطنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة التاريخ العربي،ج7،ط4، بيروت، لبنان، 1991، ص 3-2.

*- قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.(51)

(يؤمنون # يكفرون)

فهذا من أقبح اليهود وحسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله كل هذا من الجبت والطاغوت وكذلك حملهم الكفر والحسد، ففضلوا طريقة الكافرين بالله عبدة الأصنام على طريق المؤمنين فقال "ويقولون للذين كفروا" أي لأجلهم تملقا لهم ومداهنة وبغضا للإيمان.

ويقول أبي يحيى محمد بن صمادح النجيبي: «"بالجبت والطاغوت" صنفان وقيل "الجبت" السحر و"الطاغوت" الشيطان "ويقولون للذين كفروا" وكان كعب بن الأشرف اليهودي يقول لمشركي قريش أنتم أهدى من محمد وأصحابه»[1] أي انتم يا مشركي قريش على دين الهداية والحق عكس محمد، فتعالى الله عن ذلك.

ب- التضاد بين الأسماء:

قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾(2).

(الخبيث # الطيب)

"وآتوا اليتامى أموالهم" هذا أول ما أوصى به من حقوق الخلق في هذه السورة وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافلين لهم وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم، فأمر الله سبحانه وتعالى أن يحسنوا إليهم وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، ثم ذكر سبحانه "لا تتبدلوا الخبيث" الذي هو أكل مال اليتيم بغير حق "بالطيب" وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعه، ففيه تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة فقد أتى "حوبا كبيرا" أي إثما عظيما ووزرا جسيمًا من استبدل الخبيث بالطيب أن يأخذ الوليّ من مال اليتيم النفيس ويجعل بدله من ماله الخسيس.

---

[1] الإمام أبي يحيى محمد بن صمادح النجيبين، مختصر تفسير الطبري، ج1، ط1، 1423هـ-2002م، ص 86.

ويقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(6).

(غنيا # فقيرا)

الابتلاء وهو الاختبار والامتحان، وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد شيء من ماله ليتصرّف فيه التصرّف اللائق بحاله فيتبيّن بذلك رشده من سفهه، فإن تبيّن رشده وصلاحه في ماله وبلغ النكاح "فادفعوا إليهم أموالهم" كاملة موفرة "ولا تأكلوها إسرافا" أي مجاوزة لحد الحلال الذي أباحه الله لكم من أموالكم إلى الحرام الذي حرمه الله عليكم من أموالكم "وبدارا أن يكبروا" أي لا تأكلوها في حال صغرهم التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم، وهذه من الأمور الواقعة في كثير من الأولياء الذين ليس عندهم خوف من الله "ومن كان فقيرا فليستعفف" يقول محمد حسن في ذلك «فليكف عن أكل أموالهم»[1]، وكفى بالله محاسبا لكم أو شاهدا أو كافيا وكفيلا.

ويقول أيضا: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾(55).

(آمن به # صدّ عنه)

أي من آمن بمحمد نال بذلك السعادة الدنيوية والفلاح الأخروي ومن صدّ عنه عنادا وبغيًا حصل له الشقاء في الدنيا ومصائبها والعذاب في الآخرة.

قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(55).

(الرجال # النساء) ،(قلّ # كثر)

كان العرب في الجاهلية من جبروتهم وقسوتهم لا يَورثون الضعفاء كالنساء والصبيان ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم –بزعمهم- أهل الحرب والقتال فأراد الله أن يشرع لعباده شرعا يستوي فيه رجالهم ونساؤهم أقوياؤهم وضعفاؤهم، وأيضا هنا توهم آخر لعلّ أحد يتوهم أن النساء والوالدين لهم نصيب إلّا من المال الكثير فأزال ذلك بقوله مما قل منه أو كثر فتبارك الله أحسن الحاكمين.

---

[1] محمد حسن الحمصي، القرآن الكريم تفسير مع أسباب النزول للسيوطي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 87.

ويقول عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(32).

(الرجال # النساء)

ينهى الله المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة والغير الممكنة، فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، وصاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكامل لأن هذا حسد بعينه ولهذا قال تعالى: "للرجال نصيب مما اكتسبوا" أي من أعمالهم المنتجة للمطلوب "وللنساء نصيب مما اكتسبن" أي من جميع مصالحهم في الدين والدنيا فهذا كمال العبد وسعادته لا من يترك العمل أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه أو جمع بين الأمرين فإن هذا مخذول وخاسر.

ثم قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(78).

ويقول: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(78).

(الحسنة # البيئة)

أخبر الله أنه لا يغني الحذر عن القدر وأن القاعد لا ينفعه قعوده شيئا فقال "أينما تكونوا يدرككم الموت أي في أي زمان وأي مكان ولو كنتم في قصور منيعة ومنازل، رفيعة كل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تارة بالترغيب في فضله وثوابه وتارة بالترهيب من عقوبة تركه وتارة بالأخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم وتارة بتسهيل الطريق في ذلك.

ويخبر الله تعالى عن الّذين لا يعلمون المعرضين عما جاءت به الرسل المعارضين لهم: أنهم إذا جاءتهم حسنة أي خصب وكثيرة الأموال وتوفر الأولاد والصحة قالوا هذه من عند الله وأنهم إن أصابتهم سيئة أي حدب وفقر وموت أولاد وأحباب قالوا هذه من عندك أي بسبب ما جئتنا يا محمد.

يقول الله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(74).

(الدنيا # الآخرة)

«من لطف الله بعباده أنه لا يقطع عنهم رحمته ولا يغلق عنهم أبوابها "الجنة" بل من حصل على غيرها، يليق بأمره دعاه إلى جبر نقصه وتكميل نفسه فلهذا أمر هؤلاء بالخلاص والخروج في سبيله»[1]، ويقول "الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة" أي يبيعون الدنيا رغبة عنها بالآخرة ورغبة فيها فإن هؤلاء يوجه إليهم الخطاب لأنهم الّذين أعدوا أنفسهم ووطنوها على جهاد الأعداء.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾(126).

(السموات # الأرض)

في هذه الآية الكريمة بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر أنه ما في السموات وما في الأرض أي جميع ملكه وعبيده فهم مملكون وهو المالك المنفرد بتدبيرهم، وقد أحاط علمه بجميع المعلومات وبصره بجميع المبصرات ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات وقهر بعزه وقهره كل المخلوقات.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(124).

(ذكر # أنثى)

من يعمل من الصالحات دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن صغيرا أو كبيرا ذكر أو أنثى ولهذا قال من ذكر أو أنثى وهو مؤمن شرط لجميع الأعمال لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها ثواب إلّا بالإيمان فالأعمال بدون إيمان كأغصان الأشجار قطع أصلها، وكبناء بني على موج الماء فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة، فالله لا يظلم نقيرا ويقول محمد حسن "نقيرا" أي: قدر النقرة في ظهر النواة (يضرب به المثل في الشيء الطفيف)[2].

---

[1] ناصر السعدي، موقع الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية.

[2] محمد حسن العصمي، القرآن الكريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي، ص 98.

ج- التضاد بين جملتين:

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(23).

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(24).

تشتمل هاتين الآيتين على المحرّمات بالنسب والمحرّمات بالصهر والمحرّمات بالجمع وعلى المحللات من النساء.

- فأما المحرّمات بالنسب فهن سبعة اللّاتي ذكرهن الله:

1. الأم ويدخل فيها كل من لها عليك ولادة وإن بعدت.
2. البنت ويدخل في البنت كل من لك عليها ولادة.
3. الأخوات الشقيقات أو الأب أو الأم.
4. العمة كل أخت لأبيك أو لجدك وإن علا.
5. الخالة كل أخت لأمك أو جدتك وإن علت وارثة أم لا.
6. بنات الأخ.
7. بنات الأخت.

- أما المحرّمات بالرضاعة فقد ذكر الله منهن الأم والأخت.

- أما المحرّمات بالصهر فهن أربعة:

- حلائل الآباء وإن علوا، وحلائل الأبناء وإن نزلوا وارثين أو محجومين وأمهات الزوجة وإن علون، والرابعة الربيبة وهي بنت زوجته وإن نزلت. فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجته كما قال هنا "وربائبكم اللاّتي في حجوركم من نسائكم اللاّتي دخلتم بهن"

وقد قال الجمهور أن قوله اللاّتي في حجوركم قد خرج بمخرج غالب لا مفهوم له فإن الربيبة تحرّم ولو تكن في حجره ولكن لتقعيد بذلك فائدتان:

1. إحداهما: التنبيه على الحكمة في تحريم الرّبيبة وأنّها كانت بمنزلة البنت.
2. الثانية: فيه جواز على الخلوة بالرّبيبة وأنّها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن والله أعلم.

- أما المحرمات بالجمع: فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرمه وحرم الرسول صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

- ومن المحرّمات من النكاح: والمحصنات من النساء أي: ذوات الأزواج فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في ذمة الزوج حتى تطلقن وتقضي عدتها.

- أما المحللات من النساء قوله تعالى: "وأحلّ لكم ما وراء ذالكم" كبنت العمة والعم والخال فإنه حلال طيب، فالحرام محصور والحلال ليس له حد ولا حصر لطفا من الله ورحمته تيسيرا للعباد.

ختم الله سبحانه وتعالى هذه الآية إن الله كان عليما حكيما أي واسع الحكمة وكامل العلم فمن علمه وحكمته شرّع لكم هذه الشرائع وحد لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(13).

وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(14).

كما نلاحظ هنا تعارض بين الآيتين:

أي تلك التفاصيل التي ذكرها في المواريث حدود الله التي يجب الوقوف معها وعدم مجاوزتها ولا القصور عليها وبذلك يحصل به النجاة من سخطه وعذابه سبحانه والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المقيم الذي لا يصفه الواصفين، ومن يعص الله ورسوله ...الخ يدخل في اسم المعصية والكفر وما دونها من معاصي، فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله ورتب دخول النار عل معصيته ومعصية رسوله.

2- علاقة تلازم:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾(13).

أي: من أقام حدود الله وطاعة رسوله يفوز بالفوز العظيم وهو دخول جنات النعيم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(14).

أي: من تعدى حدوده ومن عصى الله ورسوله يدخله نار جهنم خالدين فيها أبدا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(152).

أي: الذين يؤمنون بالله وجميع الرسل دون تفريق بينهم، وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به الله عن نفسه وبكل ما جاء به الرسل من الأخبار والأحكام فهذا الإيمان الحقيقي، واليقين المبني على البرهان، فأولئك سوف يؤتهم أجورهم أي: جزاء إيمانهم وما ترتب عليه من عمل صالح وقول حسن وخلق جميل، ولعل هذا هو السّر في إضافة الأجور لهم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(37).

فالله سبحانه يذم الّذين يبخلون أي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة ويأمرون النّاس بالبخل بأقوالهم وأفعالهم ويكتمون العلم الذي هدى به الضالون ويسترشد به الجاهلون فيكتمون عنهم ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق، فجمعوا بين البخل بالمال والبخل بالعلم وبين السعي في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، فهذه صفات الكافرين ولهذا قال تعالى "أعتدنا للكافرين عذابا مهينا" أي: تكبروا على عبادة الله ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم من البخل وعدم الاهتداء أهانهم بالعذاب الأليم والخزي الدائم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾(69).

أي: كل من أطاع الله ورسوله على حسب حاله والقدر الواجب عليه من ذكر أو أنثى فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم النعمة العظيمة التي تقضي الكمال والفلاح والسعادة من النبيّين الّذين فضلهم الله بحبه وخصهم بفضله والصّديقين وهم الّذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل فعلموا الحق وصدّقوه بيقينهم، والشّهداء الّذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا، والصّالحين الّذين صلح ظاهرهم وباطنهم فصلحت أعمالهم فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم وبالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار ربهم.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(93).

من الكفر العملي الذي ذكر هنا وعيد القاتل عمدا وعيدا ترجف له القلوب وتنصدع له الأفئدة وينزعج له ألو العقول فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد بل لا مثله ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم بما فيها من العذاب العظيم والخزي المهين وسخط الأخيار وفوات الفوز والفلاح وحصول الخيبة والخسران.

3- علاقة الجزء بالجزء:

قوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(46).

هنا ورد عدة عناصر أو أجزاء وعلاقتها بالرأس كالأذن "مسمع" واللسان "بألسنتهم" فهي أجزاء متعلقة بالرأس كما أنه هو كذلك جزء من الجسم يبيّن الله تعالى كيفية ضلال اليهود عنادا وإثما في إثارة الباطل على الحق وقيامهم بتغير اللّفظ أو المعنى أو جميعا، وهذا في العلم وشر حال قلبوا فيه الحقائق ونزلوا الحق على الباطل، وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم يقولون سمعنا وعصينا أي: سمعنا قولا وعصينا أمرا، ويقول محمد حسن الحمصي «غير مسمع» عبارة تستعمل إما في الدعاء على الإنسان بالصم وإما في الدعاء له أنه لا يشتم"[1]، ويظنون أن اللّفظ يروج على الله

[1] محمد الحسن العصمي، القرآن الكريم، تفسير وبيان أسباب النزول للسيوطي، ص 86.

وعلى الرسول فتوصلوا بذلك اللّفظ الّذين يلوون بألسنتهم إلى الطعن في الدِّين والعيب في الرسول ويصرحون ذلك فيما بينهم ولهذا قال "ليا بألسنتهم وطعنا في الدِّين".

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾(47).

الوجه وعلاقته بالرأس.

ففي تفسير هذه الآية يأمر الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم المهيمن على غيره من الكتب السابقة وقوله "من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها" أي: هذا جزاء من جنس العمل، فكما تركوا الحق وأثاروا الباطل طمس وجوههم كما طمسوا الحق وردها على أدبارها بأن تجعل في أقفائهم وهذا أشنع ما يكون.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(92).

هنا الرقبة جزء من الرأس وهو بذلك جزء من الجسم.

وهذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي أن يمتنع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن أي متعمدا وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه وأنه مناف للإيماء أشدّ منافاة، وإنّما يصدر ذلك إما من كافر أو فاسق قد نقص إيمانه نقصا عظيما على القاتل [تحرير رقبة مؤمنة] كفارة لذلك ويشمل ذلك الصغير والكبير والذكر والأنثى والصحيح والمعيب في قول بعض العلماء.

4- علاقة الجزء بالكل:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(1).

افتتح الله سبحانه هذه السورة بالأمر بتقواه والحث على عبادته والأمر بصلة الأرحام وبيّن السبب الداعي الموجب لكل ذلك وأن الواجب لتقواه أنه ربكم الذي خلقكم ورزقكم ورباكم بنعمه العظيمة التي من جملتها "خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها" أي آدم وحواء جزء من هذه النعم "وبث منها رجالا كثيرا ونساءا" أي هذه الأمة العظيمة وهي الكل.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾(47).

يوم السبت "الجزء" وعلاقته بأيام الأسبوع الأخرى "الكل".

نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت بأن يطردهم من رحمته ويعاقبهم بجعلهم قردة كما فعل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت.

5- علاقة الصنف العام أو نظرية الحقول الدلالية:

يقول سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(23).

الآية تشتمل على المحرمات بالنسب (الأم، البنات، الإخوة، العمات، الخالات، بنات الأخ، بنات الأخت، الأخوات من الرضاعة، الربائب، حلائل الأبناء)، فهذه كلها تندرج ضمن حقل يسمى الحقل الدلالي الخاص بألفاظ القرابة.

ويقول تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(36).

تظهر هذه العلاقة في الألفاظ التالية: (الوالدين، ذوي القربى، اليتامى، المساكين، الجار ذي القربى، الجار الجنب، الصاحب بالجنب، ابن السبيل)، فهذه تندرج ضمن ما يعرف بالفقراء أو المحتاجين لقول كريم أو فعل عظيم:

- "فالوالدين" مثلا يحتاجان إلى الإحسان إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما.
- "بذي القربى" أيضا الإحسان إليهم ويشمل ذلك جميع الأقارب قربا أو بعدا بأن يحسن إليهم بالقول أو الفعل.
- و"اليتامى" أي الذين فقدوا آباءهم وهم صغار فلهم الحق على المسلمين سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم وجبر خواطرهم.
- و"المساكين" وهم الذين أسكنتهم الحاجة فلم يحصلوا على كفايتهم.
- الجار ذي القربى" أي الجار القريب الذي له حقان، حق الجوار وحق القرابة فله على جاره حق الإحسان وهذا راجع إلى العرف.
- "الجار الجنب" أي الذي ليس له قرابة فكلما كان الجار أقرب بابا كان أكثر حقا.
- "الصاحب بالجنب" قيل الرفيق في السفر، وقيل الزوجة، وقيل صاحب مطلقا ولعله الأولى فإنه يشمل الصاحب في حضر والسفر ويشمل الزوجة.
- "وابن السبيل" وهو الغريب الذي احتاج في غربته أو لم يحتاج فله حق على المسلمين لشدّة حاجته وكونه في غير وطنه بإكرامه وتأنسيه...الخ.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(43).

(السِكر، الجنابة، المرض، السفر، الغائط، لمس النساء) هذه العناصر كلها تندرج تحت حقل واحد وهو مبطلات الصلاة أو موانعها فنهى الله تعالى عباده المؤمنين أن لا يقربوا الصلاة وهم في حالة سكر حتى يعلموا ما يقولون وهذا شامل أيضا لمواضيع

الصلاة كالمساجد ثم قال "ولا جنبا إلاّ عابري سبيل" أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا إلاّ في هذه الحالة وهو عابر السبيل أي: تمرون على المساجد ولا تمكثوا فيها فيقول "حتى تغتسلوا" ، ثم يضيف "وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط".

6- علاقة التدرج التسلسلي:

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾(3).

في هذه الآية أباح الله لرجل النظر إلى من يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال مثنى وثلاث ورباع أي من أحب أن يأخذ اثنتين فليفعل أو ثلاثا ورباع فليفعل ولا يزيد عليها لأن الآية سيقت لبيان الامتنان فلا يجوز الزيادة غير ما سمى الله تعالى إجماعا وذلك لأن الرجل قد تندفع شهوته لواحدة فأبيح له واحدة بعد واحدة حتى بلغ أربعا. فهناك تدرج في عدد الزوجات أي واحدة أو اثنتان أو ثلاثة أو أربعة وهو الحد الذي أباحه الله ولا يجوز تعديه.

ويقول تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(11).

هذه الآية الكريمة من آخر الصور من الآيات المواريث المتضمن أحكام تدرج في تشريع أحكام المواريث، وبيان أصحابها.

في البداية (بيان ميراث الأولاد) "يوصيكم الله في أولادكم" أي: أولادكم –يا معشر الوالدين- عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية فتعلمونهم وتؤدبونهم وتكفونهم عن الفساد وتأمرونهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام فمن يقوم بتلك الوصية فله جزيل الثواب ومن ضيعها استحق بذلك الوعيد والعقاب وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين ثم ذكر كيفية إرثهم

فقال "للذكر مثل حظ الأنثيين" أي الأولاد للصلب والأولاد للابن للذكر مثل حظِّ الأنثيين إن لم يكن معهم صاحب فرض أو ما أبقت الفروض يقتسمونه، وقد أجمع العلماء على ذلك وأنه –مع وجود أولاد الصلب- فالميراث لهم وليس لأولاد الابن شيء حيث كان أولاد الصلب ذكورا أو إناثا هذا مع اجتماع الذكور والإناث وهنا حالتان:

- انفراد الذكور وسيأتي حكمها.

- انفراد الإناث وقد ذكره بقوله (أحكام البنات في الميراث): "فإن كن نساء فوق اثنتين" أي بنات صلب أو بنات ابن ثلاثا فأكثر فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة أي بنتا أو بنت ابن فلها النصف وهذا إجماع[1].

بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للابنتين الاثنتين الثلثين بعد إجماع على ذلك؟

فالجواب أنه يستفاد من قوله "وإن كانت واحدة فلها النصف" فمفهوم ذلك أنه إن زادت على واحدة انتقل الفرض عن النصف ثم بعد إلاّ الثلثان، وأيضا قوله للذكر مثل حظّ الأنثيين إذا خلف ابنا أو بنتا فإن الابن له الثلثان وقد اخبر الله أنه حظ الأنثيين فدل ذلك على أن للبنتين الثلثين، وأيضا قوله تعالى في الأختين "فإن كانتا اثنتين فلها الثلثان مما ترك"، نص في الأختين الإثنتين فإذا كانت الأختان –مع بعدهما- يأخذان الثلثين، فالإبنتان –مع قربهما- من باب أولى وأحرى، وقد أعطى النبي (ص) ابنتي سعد الثلثين كما في الصحيح.

بقي أن يقال: فما الفائدة في قوله تعالى فوق اثنتين؟ قيل الفائدة في ذلك –والله أعلم- أنه أن الفرض الذي هو الثلثان لا يزيد بزيادتهن على اثنتين.

(أحكام الأبوين في الميراث): ثم ذكر ميراث الأبوين فقال "ولأبويه " أي أبوه وأمه "لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد" أي ولد صلب أو ولد ابن ذكر كان أو أنثى واحدة أو متعددا فأما الأم فلا تزيد على السدس.

(أحكام الأب في الميراث): وأما الأب فمع الذكور منهم لا يستحق أزيد من السدس فإن كان الولد أنثى أو إناثا ولم يبقى بعد الفرض شيء أخذ الأب السدس فرضا "فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث" أي الباقي للأب لأنه أضاف المال إلى الأب والأم إضافة واحدة ثم قدر نصيب الأم فدل ذلك على أن الباقي للأب علمًا من ذلك أن

[1] ناصر السعدي، موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية.

الأب –مع عدم الأولاد- فرض له بل يرث المال كلّه، ولكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه ثم تأخذ الأم الثلث الباقي والباقي للأب.

وفي الآية الثانية عشرة يكمل الله تعالى التدرج في تشريع أحكام المواريث فانظر لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(12).

(حكم الزوجات والزوج في الميراث): قال: ولكم أيها الأزواج "نصف ما ترك...مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين"، ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى الواحدة والمتعدد الذي من الزوج أو من غيره ويخرج عنه ولد البنات إجماعا.

(بيان معنى الكلالة ونصيبها من الميراث) ثم قال تعالى "وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت" أي: أم كما في بعض القراءات، وأجمع العلماء على أن المراد بالإخوة –هنا- الإخوة للأم فإذا كان يورث كلالة أي ليس للميت والد أي لا أب ولا جد وابن ولا ابن الابن ولا بنت ولا بنت البنت هذه هي الكلالة.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد حصل ذلك بالاتفاق"[1] "فلكا واحد منها" أي: من الأخ والأخت "السدس"، فإن كانوا أكثر من ذلك أي من واحد فهم شركاء في الثلث أي لا يزيدون على الثلث ولو زادوا عن اثنين دلّ قوله فهم شركاء في الثلث أي ذكراهم وأنثاهم لأن لفظ الشريك يقتضي التسوية.

[1] ناصر السعدي، موقع أم الكتاب.

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة ظاهرة المصاحبة اللغوية دراسة نظرية وتطبيقية على القرآن الكريم نود أن نسجل بعض النتائج التي توصلنا إليها:

1- إن المصاحبة اللغوية من الظواهر التي شاعت في لغتنا العربية التي تمتاز بدقة بالغة وبراعة باهرة في اختيار الألفاظ المتصاحبة.

2- قد تبنى اللغويون العرب القدماء إلى هذه الظاهرة وتركوا لنا تراثا زاخرا من المؤلفات والمصنفات اللغوية التي اهتمت بعرض الألفاظ اللغوية.

3- تؤكد دراسة المصاحبة اللغوية أن دلالة التركيب لا تتوقف عند حدود المعنى المعجمي بل ينبغي النظر في التصاحب الواقع بين الألفاظ من أجل التوصل إلى المعنى المراد، وليس معنى هذا أننا نهمل المعنى المعجمي، فمن المعلوم أن له دور في تحصيل المعنى ولكن ليس هو كل شيء في إدراك المعنى، فالترافق بين الألفاظ له ضوابطه التي تؤدي في النهاية إلى المعنى المراد فإذا حدث خلل في القواعد والضوابط لا يتحقق لفائدة الدلالية المرجوة لدى المتكلم أو بالنسبة للسامع.

4- إن الدراسة التطبيقية للمصاحبة اللغوية من خلال القرآن الكريم فقد أثبتت هذه الدراسة وجها من أوجه الإعجاز القرآني في انتقاء ألفاظه وحسن ترتيبه في نسق لغوي بديع، فالقرآن الكريم زاخر بالعلاقات اللغوية الفريدة والتي صبغت بالصبغة الإسلامية بالإضافة إلى الكم الهائل من عناصر المصاحبة التي وردت فيه فهو بذلك منبع لا ينضب مداده في دراسة المصاحبة.

5- يلاحظ أن القرآن الكريم تنوعت فيه المصاحبة اللغوية وعناصرها، فهناك علاقات ذات معدل كبير أي واسع كعلاقة تضاد بين الأسماء والعكس كذلك هناك علاقات ذات معدل ضيق كعلاقة تضاد بين الأفعال.

6- يمكن الاستفادة من ظاهرة المصاحبة اللغوية في استنباط الأحكام الشرعية ولقد وعى الأصوليون والمفسرون ذلك، فلمحنا في بحثنا هذا إلى بعض الإشارات التي تنبئ على ذلك.

وأخيرا يمكننا القول أنه لا مانع من الاستفادة من الأفكار اللغوية الحديثة وتطبيقها في دراسة قرآنية طالما لا تتعارض وأصول ديننا وقواعد فهمنا للقرآن الكريم بل أن دراسة ذلك من خلاله قد يكون واجبا إذ ما ساعد على إبراز وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآني.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أنيس ومجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، ط1، 1425هـ.

2- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ.

3- ابن منصور محمد أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: رياض زكي قاسم، ج3، دار المعرفة، بيروت.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة "صحب"، ج1، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ-2003م.

5- ابن هشام الأنصاري، قصر الندى وبل الصدى، تح: يوسف البقاعي، ط3، دار الفكر، بيروت، 1414هـ.

6- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجل3، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

7- أبو يحي محمد بن صمادح النجيبي، مختصر تفسير الطبري، ج1، ط1، 1423هـ-2002م.

8- أبو بشر عمر بن عثمان قنبر، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت.

9- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سلم، دار العلم والمعرفة، القاهرة، 1418هـ-1997م.

10- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، 2001م.

11- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، مادة (د-ص)، منشورات محمد علي بيضون، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت.

12- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، 1420هـ-2000م.

13- الطنطتوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج7، ط4، مؤسسةالتاريخ العربي، 1991م.

14- حافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم.

15- جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية عند العرب، ج1، الإسكندرية، 1990م.

16- جمال الدين العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية، 1412هـ-1992م.

17- سعد حسن بحري، علم لغة النص مفاهيم واتجاهات، ج1، ط1، مكتبة لبنان الناشرون، 1997م.

18- صبحي إبراهيم فقهي، علم لغة النص بين النظري والتطبيق، ج1، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000م.

19- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، دار المنار، القاهرة، 1411هـ-1991م.

20- علي عزة، الاتجاهات الحديثة في الأساليب وتحليل الخطاب، ط1، شؤكة ابو هلال للنشر، 1996م.

21- نولفاتج هانيه هان ديتر فيهر، مدخل إلى لغة النص، تر: سعيد بحري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004م.

22- محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار النهضة العربية، 1966م.

23- محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التضيق القرآن والنص الشعري، ط1، دار النور، المعرفة العلمية، عمان، 1432هـ-2011م.

24- محمد الألباري أبي الطيب القنوجي البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج3، المطبعة العصرية، بيروت، 1996م.

25- محمد حسن عبد العزيز، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1410هـ-1990م.

26- محمد محمد حلمي هلال، في طور التنفيذ معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ج20، مارس 2000م.

27- محمد محمد يوسف علي، المعنى وضلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، ط2، دار المدار الإسلامية، 2007م.

28- محمود فهمي حجازي، مدخل إل علم اللغة، دار قباء، 1991م.

29- ناصر السعدي، موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية.

30- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل خطاب، ط1، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، 1428هـ-2009م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر ..... -
إهداء..... -
مقدمة .....أ-ب

الفصل الأوّل:

I- الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النّص.....4
II- تعريف المصاحبة اللّغوية.....6
1- لغة.....6
أ- المصاحبة اللغوية عند اللغويون العرب 7
ب- المصاحبة اللغوية عند النحويين.....9
2- اصطلاحا 10
أ- المصاحبة اللغوية عند اللغويين المحدثين 10
III- عناصر المصاحبة اللّغوية..... 11

الفصل الثاني:

I- التعريف بسورة النساء وتلخيص مضمونها 15
1- التعريف بسورة النساء 15
2- ملخص مضمون سورة النساء 16
II- التطبيق على سورة النساء 17
الخاتمة 34
قائمة المصادر والمراجع..... 37
فهرس الموضوعات 41